خير الهدي هدي المصطفى ﷺ

١٨

كفى بالله شهيداً و وكيلاً

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

نَظَرَ (أبو الخَيرِ) إلى ولَدِهِ (صهيب) وقالَ: هَلْ دوَّنْتَ لنا شَيئاً مِمَّا قَرأْتَهُ اليومَ فِي المَكتبةِ الوَطنيَّةِ؟

فقالَ (صُهيبٌ): نعمْ يا والدي ، لقد دَوَّنْتُ حكايةً من حكاياتِ الرّسولِ ﷺ ، وفيها الدّروسُ والعِبَرُ والعِظاتُ.

قالَ (أبو الخَيرِ): هيَّا إذاً أَخْرِجْ دفترَكَ واقرأْ علينَا تِلكَ الحِكايَةَ... فنَحْنُ نَنتظِرُ سَماعَها..

وأخرجَ (صُهيبٌ) دَفترَهُ.. وقلَّبَ صفحاتهِ ، حتّى إذا ما وصلَ إلى المكانِ الَّذي كُتِبَتْ فيهِ الحكايةُ قَرأَ:

في صحيحِ البُخاريِّ: عَنْ أَبي هُريرةَ رَضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ

رَجُلاً مِنْ بَنِي إسرائيل سَأَلَ بعضَ بني إسرائيل أَنْ يُسلّفَهُ[1] ألف دينار.

فقال: ائتني بالشُّهداء أُشْهِدْهُمْ.

فقال: كفىٰ باللهِ شَهيداً.

قال: فَائْتِني بالكفيلِ.

قال: كفَىٰ بِاللهِ كفيلاً.

قال: صدَقْتَ. فدفعَها إليهِ إلى أجلٍ مُسمًّىٰ، فخَرَجَ في البحرِ فقضَىٰ حاجَتَهُ، ثم التمسَ مَرْكَباً يركَبُها يقدمُ عليهِ للأجلِ الّذي أجّلَهُ فلم يَجِدْ مَركباً، فأخذَ خشبةً فنقرَها[2]، فأدخلَ فيها ألفَ دينارٍ، وصحيفةً مِنْهُ إلى صاحِبِهِ،

---

(١) أي: يقرضه.

(٢) أي: فخرقها.

ثمَّ زجَّجَ[1] موضِعَها ، ثمَّ أتى إلى البحر فقال:

اللَّهُم إنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تسلَّفتُ ألفَ دِينارٍ ، فسألني كَفيلاً ، فقلتُ: كفىٰ بِاللهِ وَكيلاً فرضِيَ بِكَ.

وسألني شهيداً ، فقلتُ: كفى باللهِ شَهيداً فرضيَ بِك.

وإني جهدتُ أَنْ أَجِدَ مَركباً أبعثُ إليه الّذي لَهُ فلَمْ أَجِدْ.

وإنّي أستودِعُكَها ، فرمَىٰ بِها إلى البَحرِ ، حتَّى ولجَتْ فيه[2] ، ثُمَّ انصرَفَ ، وهُوَ في ذلكَ يلتمسُ مركباً يخرجُ إلى بلدِهِ.

فخرجَ الرَّجلُ الّذي كانَ أسلَفَهُ ، ينظرُ لعلَّ مركباً قَدْ جاءَ بمالِهِ ، فإذا بالخشبةِ الّتي فيها

---

(١) أي: أحكم موضعها وأغلقها تماماً.

(٢) أي: دخلت في البحر.

المالُ ، فأخذَها لأهلهِ حَطباً ، فلمّا نشَرَها وجدَ المالَ والصّحيفةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الذي كان أسلَفه ، فأتى بالألفِ دينارٍ وقالَ: واللهِ ، ما زلتُ جاهداً في طلبِ مركبٍ لآتيكَ بمالِكَ فما وَجَدتُ مركباً قبلَ الَّذي أتيتُ فيه.

قال: هل كنتَ بعثتَ إليَّ شيئاً.

قال: أُخبِرُكَ أنِّي لم أجدْ مركباً قبلَ الّذي جئتُ فيه.

قال: فإنّ اللهَ قدْ أدّى عنكَ الَّذي بعثْتَ في الخشبةِ ، فانصرف بالألفِ دينارٍ راشداً».

الأمانة.. الأمانة!!

قالَتْ (روضة): إنّه لَهَدْيٌ رائعٌ مِنْ فَمِ رسولِ اللهِ ﷺ ، كيفَ لا؟ وهو يدورُ حولَ مسألةِ الأمانةِ وأدائِها.

ولقدْ قرأْتُ يوماً ما في ترجمةِ الإمامِ إبراهيم بنِ أدهم رحمَهُ اللهُ هذه القصَّةَ الجميلةَ: اضطرَ (إبراهيم بنُ أدهمَ) أنْ يُؤجِّرَ نفسَهُ مِنْ وكيلِ أحد الأغنياء يَرْعَى بُستاناً له ، فكانَ يرعاهُ ويُكثِرُ الصَّلاةَ ، فمرَّةً أتى صاحبُ البُستانِ وطلبَ مِنْهُ رُمَّاناً ، فأحضرَ لهُ فوجدَهُ حامِضاً فسبَّهُ ، وقال لَهُ: أَلاّ تَعرِفُ الحُلْوَ مِنَ الحامضِ؟!

قال: ما ذُقْتُهُ.

فقال لهُ: يا كاذب ، لك كذا وكذا يوماً!!

قال: ما ذُقتُهُ ، ثُمَّ قامَ يُصَلِّي ، فقال لَهُ الوكيلُ: أيُّها المُرائي ، ما رأيْتُ أكذبَ مِنْكَ ، ولا أشدّ رياءً منكَ.

قالَ لَهُ: نَعمْ يا سيِّدي ، هذا ما ظَهَرَ لَكَ مِنْ ذُنوبِي ، وأمَّا ما لم يظهَرْ فهُوَ كثيرٌ.. ثُمَّ طردَهُ.

وعادَ مَرَّةً ثانيةً فطلَبَ مِنْهُ كذلكَ رُماناً ، فأتَاهُ بأجملِ ما يعلمُ ، فخرجَ حامِضاً فسبَّهُ ونَهَرَهُ وقالَ: ياكاذبُ ، لا بدَّ أَنْ أُخْرِجَكَ ، وذَهَبَ فأتاهُ رجلٌ كادَ يَهلكُ مِنْ جوعِهِ فأطْعَمَهُ مِنْ فواكهِ البُستانِ ، فأتىٰ صاحبُهُ يُريدُ أَنْ يطردَ النّاطورَ وأنْ يُعطِيهُ أَجرَهُ ، فأعطاهُ وطردَهُ ، فقالَ لَهُ: يا سَيِّدي احسبْ ثَمنَ الفواكهِ ، أطعمْتُ رَجُلاً من فواكهِ البُستانِ كادَ أَنْ يموتَ إحياءً لمُهجتِهِ كذا وكذا.

قالَ: ألم تَسرقْ غير ذلكَ؟

قالَ: لا ، ولولا خَوفي مِنْ مَوْتِهِ ما أطعمتُهُ ، فخُذْ كَم تودُّ مِنْ أُجْرَتِي ، فأعطاهُ ما أرضاهُ ثُمّ صلَّى وذهبَ ، فأتى برجلٍ غيره يرعَى له البستانَ ، وبعدَ عامٍ أتاهُ وقالَ لَهُ: أعطني رُمَّاناً ، فاتاهُ بأطيبِ الرُّمانِ ، فقالَ لهُ: كانَ

سَلفُكَ يأتيني بالحامضِ ويقولُ: إنَّهُ ما ذاقَ رمّانَ البُستانِ ، ثمّ لَمَّا طردْتُهُ قال: لقد زارني رجلٌ كادَ أنْ يموتَ مِنْ جوعِه فأطعَمْتُه وأعطاني من أُجْرَتِهِ ثمنَ ما أطعمهُ ، وكان دائماً يُرائي بالصّلاةِ ، فما رأيتُ رجلاً أكذبَ ولا أخونَ منه.

فقالَ لهُ الأجيرُ الجديدُ: واللهِ يا سيّدي أنا كُنْتُ الرّجلَ الجائعَ!!

وهذا سيّدنا إبراهيم بن أدهَمْ الّذي كانَ له مُلكُ هذهِ البلادِ ، فتركَ المُلكَ وزَهِدَ!!

فأخذ صاحبُ البُستانِ التُّرابَ وصارَ يحثُوه على رأسِهِ ويقولُ: واويلاهُ واويلاهُ ، أضعْتُ كَنزاً لا أُلاقيهِ.

ونَظَرتْ (روضةُ) إلى وجْهِ والِدَتِها ، فرأَتِ

الدُّموعَ تسيلُ على خَدَّيها، فقالَتْ لها: مالَكِ يا والِدَتي؟ ماذا حَدَث؟!

فقالَتْ (أُمُّ الخير): أجلْ! إنَّها الأمانةُ.. إنَّها الأمانةُ!

يقول اللهُ تعالى:

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾

[النساء: ٥٨].

ويشرحُ المُصْطَفىٰ ﷺ ذلكَ بقولهِ: «أَربعٌ إذا كنَّ فيكَ لا عليكَ ما فاتكَ من الدُّنيا: حفْظُ أمانةٍ، وصِدقُ حديثٍ، وحُسْنُ خَليقَةٍ، وعِفَّةٌ في طُعْمَةٍ».

ويقولُ صلواتُ اللهِ عليه وهُوَ يُخاطِبُ كُلَّ مُسْلم: «أدِّ الأمانةَ إلى مَنْ ائتمنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خانَكَ».

ويحذِّرُ النَّبيُّ صلواتُ اللهِ عليهِ مِنْ تَضْيِيْعِ

الأمانةِ ، فيقولُ: «لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانَةَ لَهُ».

ويقولُ: «إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانْتَظِرِ السَّاعةَ».

ويلٌ لِمَنْ وعَدَ ثُمَّ أَخْلَفَ

فقالَ (جَميلٌ): وهذا الموضوعُ لَهُ صِلَةٌ بِخُلُقٍ آخرَ ، هُوَ الوفاءُ بالعَهْدِ.

لذلكَ ذكرَ اللهُ تعالى في القُرآنِ هذا الخُلُقَ الكريمَ ، ووصَفَ بهِ أنبياءَهُ ورسلَهُ وأولياءَهُ ، كقولهِ تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] .

وهذا ما نجدُهُ في السُّنَّةِ المطهَّرةِ أيضاً ، مثلُ قولِ الرّسولِ ﷺ: «المسلمونَ عندَ

شُروطِهم» وقولُه صلواتُ اللهِ عليهِ: «عِدَةُ المؤمنِ دينٌ».

وأمَّا الَّذين ينقضُونَ العهودَ والمواثيقَ، فقدِ اعتبرَهُمُ القُرآنُ خونةً!!

قالَ اللهُ تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

وبالتالي اعتبرَ الرَّسولُ صلواتُ اللهِ عليه ذلكَ مِنْ صِفاتِ المنافقينَ: «ثلاثٌ من كُنَّ فيهِ فهوَ منافقٌ، وإنْ صامَ وصلَّى وزعمَ أنَّهُ مسلمٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخلَفَ، وإذا اؤتمنَ خانَ».

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾

فقالَ (أبو الخيرِ):

وفي هذا الهدي النَّبويِّ إشاراتٌ واضحةٌ إلى خُلُق التَّوكل على اللهِ والتفويضِ إليهِ، والتّسليمِ لَهُ سبحانَهُ وتعالى.

وقد قال تعالى:

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

أي: أَرُدُّ أمري كلَّهُ إلى اللهِ، وهذا هو المنهجُ النَّبويُّ، وقد وردَ في السُّنَنِ أدعيةٌ للرّسولِ ﷺ منها قولُه:

«اللّهُمَّ إنّي أسلَمْتُ نفسِي إليكَ، وفوَّضْتُ أَمْرِي إليكَ».

كلُّ ذلكَ لأنَّ التَّوكُّلَ خُلقٌ عظيمٌ، بهِ يتحقَّقُ معنى الإيمان.

لذلكَ قالَ أحدُ العارفين باللهِ: مَنْ لا توَكُّلَ لَهُ لا إيمانَ لَهُ.

فَقِيْلَ لَهُ: ومِن أينَ لكَ هذا؟

قال: مِنْ قولِ اللهِ تعالى:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

والتَّوكُّل ليسَ كلاماً على اللِّسانِ فقط ، بلْ هُوَ عَمَلٌ من أعمالِ القَلْبِ ، بحيثُ يصبحُ الإنسانُ في حالةِ يقينٍ تامّ بأنَّ كلَّ ما عدا الله لا يملكُ نَفعاً ولا ضَرّاً.

وهذا الأمرُ لا يتَّصفُ به إلا المؤمنونَ فقط ، مصداقُ ذلكَ قولُه تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

أمّا جزاءُ المتوكِّلينَ على اللهِ تعالى فهُوَ رضا اللهِ والفوزُ في الدُّنيا والآخرةِ ، مصداقُ ذلكَ قولهُ تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

ويأتي التَّوجيهُ تلوَ التَّوجيهِ بأنْ يكونَ الاعتمادُ والتَّوكُّلُ على اللهِ وحده ، والسّببُ في ذلكَ واضحٌ وصريحٌ ، قال اللهُ تعالى:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

وأمّا مَنْ كان اعتمادُهُ على غيرِ اللهِ ، أهلَكَهُ اللهُ على يدِ أضعفِ خلقهِ ، كالحَبشيِّ ـ أبرهة ـ الّذي اعتمد على قوّةِ فيلهِ لهدمِ الكعبةِ ، فأهلكَهُ اللهُ بالطيرِ الأبابيل!!

وما أجملَ ذلكَ المَشهدَ ، حيثُ وُضِعَ الخليلُ إبراهيمُ في المنجنيقِ ، وأرادُوا قذفَهُ إلى النّارِ.

فهبَطَ عليه جبريلُ يسألُهُ: ألكَ حاجةٌ؟

فأجابَهُ إبراهيمُ عليهِ السَّلام: أمّا منكَ فلا ، وأمَّا منَ اللهِ ، فعلمُهُ بحالي يغنيهِ عَنْ سُؤالي.

نسألُ اللهَ أَنْ يُخَلِّقَنا بالأخلاقِ الحميدةِ..

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ